أشكال الصّـــراع
في معرّبات المنفلوطيّ الروائية

إعداد الدكتور
فتح الرّحمن محمّد أحمد الجعلي

أستاذ الأدب والنقد المشارك، كلية اللّغة العربيّة والدّراسات
الاجتماعيّة، جامعة القصيم ـ المملكة العربيّة السّعوديّـة

أشكال الصّراع في معرّبات المنفلوطيّ الروائية

فتح الرّحمن محمّد أحمد الجعليّ
تخصص الأدب والنّقد، كليّة اللّغة العربيّة والدّراسات الاجتماعيّة- جامعة القصيم- المملكة العربيّة السّعوديّة
البريد الإلكتروني: ahedfath50@yahoo.com

الملخـــص:

تناول البحث أشكال الصّراع في الروايات التي عرّبها الكاتب المصريّ مصطفى لطفي المنفلوطي أحد روّاد النّثر العربيّ في العصر الحديث الذين لهم فضل في نهضته، حيث هدفت الدّراسة للنّظر في أشكال الصّراع في تلك المعرّبات، ممهدة لذلك بدراسة بيئات الكاتب التي أسهمت في تكوينه الأدبيّ، وما تبناه من منهج في أعماله الأدبيّة لاسيما المعرّبات، ثمّ تطرقت لمعرّباته- عموماً- التي تعدّ ضمن آثار عالجت جانباً مهمّاً من النّثر ربط بين الأدبين العربيّ والغربيّ في فترة شهدت حركة ترجمة وتعريب، ثمّ ركّز على أشكال الصّراع في المعرّبات الروائيّة التي ظهر فيها بأشكاله المختلفة: الاجتماعيّ، والطّبقي، والقيمي، والنّفسي.

واتخذ الباحث المنهج الاجتماعيّ منهجاً رئيساً لبحثه، واستعان بالمنهج النّفسي؛ إذ به يظهر شكل الصّراع النّفسيّ بوصفه أحد الأشكال المعنيّة بالدّراسة. وقد وجدت الدّراسة أنّ المنفلوطيّ عرّب عدداً من القصص والروايات الغربيّة، وصاغها بطرق تناسب الذوق العربيّ، بلغة فصيحة تجلّت فيها صور نهضة النّثر في هذا العصر، وقد حملت صراعات ظهرت فيها أشكال الصّراع المختلفة، فكانت رواية الفضيلة نموذجاً للصّراع الاجتماعيّ، ورواية (ماجدولين) نموذجاً للصّراع الطّبقيّ، ورواية (في سبيل التّاج) نموذجاً للصّراع القيميّ، بينما مثّلت رواية (الشّاعر) نموذج الصراع النّفسيّ. كما أنّه تميّز في معرّباته بأسلوب خاص كان موضع اختلاف بين النّقاد: حيث انقسموا تجاهه بين مستحسن ومستهجن.

أوصى الباحث بمزيد من الدراسات في الآثار الأدبيّة للمنفلوطيّ، وحركة التعريب السّردي في العصر الحديث.

الكلمات المفتاحية: أشكال؛ الصراع؛ المنفلوطي؛ معربات؛ الروائية.

Forms of Conflict in Al- Manfaluti's Arabized Narratives

By: Fath Al- Rahman Mohammed Ahmed Elja'ali
Majored in Literature and Criticism
College of Arabic Language and Social Studies
Qassim University
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research discusses forms of conflict in the Arabized narratives of the Egyptian writer Mustafa Lutfi Al-Manfaluti; one of the pioneers of Arabic prose in the modern age. Al- Manfaluti had also contributed to the renaissance of this form of literature. The research aims at tracing forms of conflict in those Arabized narratives. The researcher has prepared the ground by studying the environment of the writer which had a great deal of importance in his literary formation and the ideologies he adopted in his literary works, especially the Arabized narratives. Next, the research has demonstrated all the Arabized works of Al- Manfaluti in general as they constitute reminisces which tackled an important aspect of the prose connecting Arabic literature and the Western literature in an era that witnessed a movement of translation and Arabization. After that, the research focused light upon forms of conflict in the Arabized narratives and those various forms included social, class, value- based and psychological conflicts. Basically, the research applies the social approach, but it also resorted to the psychological approach since the psychological conflict appeared as one of the intended forms in this research. The research has found that Al- Manfaluti had Arabized a number of Western stories and novels shaping them in a way that would be compatible with the Arabic taste, using standard language which manifested images of the development of Arabic prose in that age. In addition, Al- Manfaluti's Arabized narratives contained struggles in which various forms of conflict were tacitly present. For example, the novel of *Al- Fadila* (Virtue) was an example of social conflict, the novel of *Magdouline* was an example of class struggle, the novel of *Fi Sabeel Al- Taj* (For the Sake of the Crown) was an example of a value- based conflict and the novel of *Al-Sha'er* (The Poet) was an example of psychological conflict. Finally, Al-Manfaluti was characterized by a specific style in his Arabized works and that style was disputable for the critics; some of them approved it while others disapproved. The research has recommended running more studies of the literary reminisces of Al- Manfaluti and the movement of prosaic Arabization in the modern age.

Key words: forms, conflict. Al- Manfaluti, Arabizations, narrative.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

بذل أدباء عصر النّهضة الحديثة في العالم العربيّ مجهوداً كبيراً في خدمة الأدب، فكانوا بمثابة الجسر الذي ربط القديم بالحديث، فأغنى الأدب العربيّ بأصالة عربيّة متصلة بالحضارة الغربيّة، مفيدة منها.

لكنّ الملاحظ أنّ عجلة الحداثة أسرعت فطوت صفحات من هذه الحقبة وغطت بعضها، فغاب عن السّاحة الأدبيّة كثير من النّفائس بدعوى تخطي الكلاسيكيّة والتفاعل مع الحداثة، ما يجعل إحياء المنطوي من أدب هذه الحقبة عملاً مهمـًا ينبغي أن يهتم به الباحثون.

من هذه الآثار التي تستحق الدّراسة الروايات والقصص التي عرّبها الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطيّ، التي تُعد من الأعمال المهمّة في تلك الفترة؛ ففيها أنموذج للتعريب بلغة تغرف من أصول العربيّة، وفيها من الدرس الأدبيّ، والمادة البحثيّة ما يستحق الدّراسة ، لذلك جاء اختيار هذا الموضوع؛ فهو مهم من ناحية إحياء أدب تلك الفترة، مثلما أنّه مهم من ناحية البحث والمعرفة، وفي الثانية نجده يتصل بجوانب توسّع البحث العلميّ وتغني المعرفة، فحركة الترجمة والتعريب جديرة بإلقاء ضوء عليها، مع ربطها بحركة الأدب والنّقد كما أنّ دراسة البيئة المعرفيّة والأدبيّة للمنفلوطيّ أمر يستحق أن يدرس من زاوية جديدة، حيث الجدة شيء نسبي لا يضعفه اتفاق الباحثين في المعلومات حوله، فمهما انطلق الباحثون من قاعدة معلومات واحدة فمن الصعب أن يتفقوا في معالجتها بصورة متطابقة، والخروج دون نتائج تضاف للبحث العلميّ؛ لذلك اتجه الباحث إلى دراسة المنفلوطيّ وبيئته ثمّ دراسة معرّباته؛ هادفًا للتعريف بالكاتب من خلال بيئاته المتعددة التي صنعت منه أديبًا، وبالتالي فإنّ ذلك مما يلقي الضوء على عصر النّهضة العربيّة الحديثة، وما كان فيه من جهود أدبيّة، ويُعرّف بمعرّبات المنفلوطيّ الروائية : (الفضيلة، الشّاعر، في سبيل التّاج، ماجدولين) التي تظهر جهداً علميـًا وأدبياً أسهم في حركة الأدب و النّقد في تلك الفترة، ثمّ النّظر للصّراع في هذه المعربات؛ لكونه أحد مقومات العمل الروائيّ المعنيّة بالبحث والنّقد.

ولأنّ الصّراع من مظاهر المجتمع الروائيّ المهمّة فإنّ الباحث رأي المنهج الاجتماعيّ مناسبـًا

لسبر غوره؛ إذ يحقق الأهداف التي يرمي إليها البحث في هذا الجانب؛ فهو يبيّن ما يعانيه المجتمع من هذه الظّاهرة ويوضّح طبيعة الحياة، ويفيد في المعرفة والوعي الاجتماعيين، فالمجتمع الروائيّ مرآة ينعكس فيها المجتمع الحقيقيّ، ويمكن من خلاله أن يري النّاس عيوب الأخير، ويعملون على إصلاحها، كما يرون محاسنه فيحرصون على إبقائها وتطويرها، ثمّ استعان بالمنهج النّفسي لتحليل الصّراع النّفسي؛ إذ الصّراع النّفسي أحد أشكال الصّراع المعنيّة بالبحث.

لاحظ الباحث أنّه لا تخلو رواية من هذه المعرّبات من أكثر من نوع من أنواع الصراعات:

(الاجتماعيّة، الطبقيّة، القيميّة، النّفسيّة)، ولذلك اختار رواية واحدة – لكلّ شكل من أشكال الصراع – ليطبق عليها البحث، وبذلك يكون غطى كلّ الروايات، وكلّ أشكال الصّراع التي يرمي لدراستها.

عمد الباحث إلي اختيار لفظ (معرّبه) لأنّه يراها أكثر دقة في وصف عمل المنفلوطيّ في تلك الأعمال الأدبيّة من كلمة (مترجمة)؛ فقد نقل المنفلوطيّ معرّباته تلك بأسلوبه ونَفَسه وأضفى عليها بعداً عربيّاً ظاهراً، فاكتسبت بذلك خصوصيّة جعلت كلمة (معرّبة) الأنسب بتقدير الباحث.

قُسّم البحث إلى: تمهيد ومبحثين، خُصص التمهيد لحياة الكاتب وآثاره وبيئته، وهذا يعطي خلفيّة معرفيّة تسهم في تقدير مستوى الكاتب والمكتوب، وتسهم في تجديد المعرفة بالمنفلوطيّ، وبدوره في حركة الأدب في العصر الحديث.

أمّا المبحث الأول فقد جاء معرّفاً بمعرّبات المنفلوطي حيث حدد الحقل المعني بالدرس، ثمّ بين أنّ المعرّبات الروائيّة جزء من معرّبات أخرى قدمها الكاتب للعربيّة، وقد عمد الباحث لتقديم ملخص لكل معرّبة؛ حتى تظهر الصورة الكليّة لهذه المعرّبات: وليسهم في إيجاد مادة مجموعة عنها في مكان واحد بطريقة مبسطة تسهم في المعرفة بها.

وفي المبحث الثاني تناول الباحث أشكال الصّراع في المعرّبات الروائيّة –دون غيرها –متخذاً أسلوب اختيار شكل من الصّراع وتطبيقه على رواية من الروايات ليتحقق غرض معالجة الروايات كلّها، وأشكال الصّراع فيها، بما يحقق أهداف البحث.

ثمّ أُنهي البحث بخاتمة، وذُيل بفهرست للمصادر والمراجع.

تمهيد

المنفلوطي، حياته وآثاره

مصطفى لطفي المنفلوطيّ أديب مصريّ من أدباء العصر الحديث، ولد في منفلوط إحدى قرى محافظة أسيوط في العام ١٨٧٦م، في أسرة محافظة اشتهرت بصفات اجتماعيّة محمودة، ولها باع طويل في مجال العلم، وولاية القضاء، يسندها إرث علميّ ونسب ينتهي إلى البيت النبويّ الكريم(١) .

هذا المنشأ زوّد المنفلوطيّ برغبة كبيرة في العلم؛ فقد تفتحت عيناه على العلم والعلماء، كما زوّده بنَفْس طموح تنشد مكارم الأخلاق. وهذه الأشياء ظهرت في مسيرته العلميّة حيث حفظ القرآن ولمّا يتجاوز الحادية عشرة من عمره، ثمّ سار في مجال العلوم الشرعيّة إلى أن وصل إلى الأزهر فقضى به عشر سنوات، ثمّ انصرف عن الأزهر وعلومه ليلتحق بحلقة الشيخ محمّد عبده؛ فدرس فيها تفسير القرآن مع علوم أدبيّة(٢) .

لم تقف الرغبة العلميّة والطموح العالي عنده في هذا الحد؛ فقد ظلّ شغوفًا بالعلم ساعيًا في طلبه حتى اشتهر بذلك وظهرت آثاره في عطائه الأدبيّ. يقول عنه شوقي ضيف: "وكان له ذوق جيّد يعرف به كيف ينتخب لنفسه أروع ما في الكتب ودواوين الشّعر العباسيّة من قطع وقصائد أدبيّة رائعة، فعكف على كتابات أستاذه محمد عبده يعبّ منها وينهل كما يعبّ من آثار معاصريه المترجمة والمؤلّفة وبذلك هيأ نفسه ليكون صحفيًا بارعًا."(٣)

للمنفلوطيّ إسهام في حركة الأدب العربيّ في العصر الحديث حيث كان له دور في تطوير النّثر العربيّ من مرحلة السجع والتعقيد، والانتقال به إلى مرحلة السّلاسة والقدرة على مواكبة الحياة الأدبيّة العصريّة بما تحمل من فنون جديدة ظهرت من خلال الاحتكاك بالآداب الأوربيّة، وما حملته الصحافة من فنون نثريّة جديدة، وهذه المرحلة هي بنت النّهضة التي بدأت بالحملة الفرنسيّة على مصر حيث

(١) محمد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، ج٢، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، ص ١٦٤.

(٢) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط١٣، دار المعارف، القاهرة، ، ص٢٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٨.

جلبت الحملة معها المطبعة[١] ، ثمّ جاءت مرحلة الاهتمام بالترجمة وابتعاث البعثات إلى أوربا للدّراسة ونقل المعارف[٢] ، وقد توّجت تلك الجهود بإنشاء مدرسة الألسن التي أوكل أمرها لرفاعة رافع الطّهطاوي، فكان لها دور كبير في تلك المرحلة.[٣]

ودور المنفلوطيّ في حركة الأدب في عصره يبرز في إسهامه في تطوير فن القصّة، ولذلك رأى أحمد هيكل أنّ فن القصّ في هذا العصر مدين في استقراره للمنفلوطي؛ لما كان له من جهود في قصصه المؤلفة والمعرّبة، فهو –عنده– "برغم ما أخذ عليه من عيوب، فقد جذب القرّاء إلى الجنس الأدبيّ وحبّب إليهم متابعته بفضل ما كان لهذا الكاتب المقتدر من أسلوب مشرق وعاطفة حارة وخيال مجنح"[٤] ،ونجد أنّ السيّد مرسي أبو ذكرى قدّمه على أترابه؛ لما يحمل من رسالة وفكر وما في أدبه من سمات مجتمع توفرت فيه من خلال بيئته وصفاته، ويرى أنّ " هذا لا يتوفر لدى الكثير من أترابه ولدّاته"[٥] .

وتحدّث عنه آخرون مظهرين بعض المناقص في أدبه بآراء جديرة بأن تذكر لتكمل صورته أديبًا، من ذلك ما كتب عنه أصحاب (الديوان) –بعد كتابه عن سيرته الشخصيّة –بأسلوب حمل سخرية لاذعة فقالوا:" وليس في أن يترجم المرء لنفسه من عيب، ولا هو ببدعة ممن هو كالسيّد الشريف النسيب لا يحدّث إلّا عن نفسه، ولا يصدر فيما يكتب عن سوى يومه وأمسه. ولكن ما هكذا يكتب النّاس عن أنفسهم، ويتقدمون إلى قرائهم بتراجمهم ووصف آبائهم، وما للقرّاء ولأجدادك الذين لم

(١) عباس محمود العقاد، دراسات في المذاهب الأدبية والنقديّة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص٧.

(٢) عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج١ ط٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١١٧ .

(٣) أبا عوض أحمد والفارابي عبد اللطيف، الحركات الفكريّة والأدبيّة في العالم العربي الحديث، دار الثّقافة والنّشر الدّار البيضاء، ١٩٩٠م ص١٧٦ .

(٤) أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٤١٤ .

(٥) السيّد مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٩ .

تزدنا بهم علمـًا، فيشفع لك ما أفدت في سماجة ما كتبت؟"[١] .

وزاد أصحاب الديوان من نقدهم له فطعنوا في أسلوبه المشهود له بالحسن والرّصانة، فقالوا:" وبعد، فماذا في كتابات المنفلوطيّ ممّا يستحق أن يُعدّ من أجله كاتبـًا وأديبـًا، إلّا إذا كان الأدب كلّه عبثًا في عبث لا طائل تحته. سمعت بعض السخفاء من شيوخنا المائقين يقول: «إنّ في أسلوبه حلاوة.» ولو أنّه قال «نعومة» لكان أقرب إلى الصواب، ولو قال «أنوثة» لأصاب المحزّ. وهذا كلام يكاد يعدّه من لا عهد له بغير كلام المقلّدين من الألغاز والأحاجي..."[٢]

ويلاحظ أنّ هذا النّقد وإن كان خارجـًا –كثيراً– عن الأسلوب المناسب للموضوعيّة، لا يمكن ردّه رداً كاملاً؛ ففيه رأي لمدرسة عرفت بهذا الأسلوب، ولها في حركة النّقد في العصر الحديث مكانة مقدّرة، وقد وجد أسلوبها هذا ردود تشبهه تحسب في كفة التفاعليّة النقديّة في هذا العصر، منها كتاب الرافعي (على السّفود) الذي خصصه لنقد العقّاد – أحد رواد هذه المدرسة – فنقده نقداً جارحـًا حتى بلغ مرحلة أن قال عنه:" وقد يكون العقّاد أستاذاً عظيمـًا، ونابغة عبقريّـًا، وجبّار ذهن كما يصفون، ولكنّا نحن لا نعرف فيه شيئًا من هذا، وما قلنا في الرجل إلّا ما يقول فيه كلامه، وإنّما ترجمنا حكم هذا الكلام، ونقلناه من لغة الأغلاط والسرقات والحماقات إلى لغة النّقد، وبيّناه كما هو، لم نبعد ولم نتعسف، ولم نتمحّل في شيء مما بنيّنا عليه النّقد، ولكلّ قول أو عمل حكم على قائله أو فاعله يجيء على قدره عاليـًا ونازلاً وما بينهما"[٣] .

وكذلك يوجد نقد موضوعي أظهر بعض مناقص المنفلوطيّ يجب الوقوف عنده، مثل الطعن في ثقافته الذي قال عنه كثيرون منهم أحمد حسن الزيّات الذي ذهب إلى أنّ ثقافة المنفلوطيّ كانت

(١) عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني، الديوان، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ص٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٣.

(٣) مصطفى صادق الرافعي، على السّفود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٤.

ضعيفة بسبب عدم اتصاله المباشر بعلوم الغرب وعدم تحصيله علوم الشرق.[١]

وإذا كان نقد جماعة الديوان يُقبل رأيًا نقديًا ويُردّ أسلوبًا، فإنّ رأي الطاعنين في ثقافة المنفلوطيّ يمكن أن يقبل كلّه مع الإشارة إلى أنّ تعلّم اللغات الأجنبيّة يزيد الثّقافة، ولكن عدم تعلّمها لا ينقصها، وهذا ما يبدو في شأن المنفلوطيّ الذي غطّت ثقافته الإسلاميّة العربيّة مساحة كبيرة في عطائه أظهرته مثقفًا، بل وبيّنت أنّه الأديب الحاذق لأدواره الأدبيّة المتمكّن من لغته، كما أنّ معرّباته توضّح إلمامه بالثّقافة الغربيّة بقدر مناسب لدوره الأدبيّ، وكل هذه الأشياء تجعله في مقدمة كتّاب عصره الأمر الذي جعل الزيّات نفسه يصفه بأنّه من النّثر في عصره بمنزلة البارودي من الشّعر[٢] ، كما أنّ العقّاد أيضًا – في مقام آخر – أثبت له فضله فقال:" لقد كان المنفلوطيّ أحد أولئك الأدباء القلائل الذين أدخلوا المعنى والقصد في الإنشاء العربيّ بعد أن ذهب منه كلّ معنى وضلّ به الكاتبون عن كلّ قصد"[٣] .

للمنفلوطيّ عدد من الكتب، هي:

النّظرات: وهي مجموعة مقالات كتبها لمجلّة (المؤيّد) عالج فيها موضوعات اجتماعيّة وأدبيّة، وضمنها واحدة من قصصه الطويلة المعرّبة (الانتقام)[٤] ، كما ضمنها مقدمة مختاراته[٥] .

العبرات: وهي مجموعة قصص طابعها الحزن، ألّف جزءاً منها، وعرّب آخر. [٦]

(١) أحمد حسن الزيّات، وحي الرسالة (فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع)، مج١، ط٧، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢م، ص٣٩٠.

(٢) نفسه.

(٣) عباس محمود العقاد، مراجعات في الأدب والفنون، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص ١٠٩ .

(٤) مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص ٥٢٩.

(٥) المرجع السابق، ص٣٣٣.

(٦) ،العبرات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،٢٠١٣، ص٩ – ص١٣٤ . مصطفى لطفي المنفلوطي

مختارات المنفلوطي: وهذا كتاب اختار فيه ما يصلح لتعليم طلّاب العلم من الشّعر والنّثر[١] .

كما أنّ له أشعاراً متفرقة موزعة بين كتاباته من أشهرها قصيدته التي هجا فيها الخديوي عباس فدخل بسببها السجن[٢] ، وقصائده التي لخّص فيها قصة الفضيلة شعراً من بعد تعريبها نثرا،[٣] وقصائد أُخر في موضوعات متفرقة.

ولكنّ الملاحظ أنّه لم يهتم بشأن الشّعر مثلما اهتم بالجانب النّثري، ولذا علا كعبه في النّثر، وتواضع في الشّعر رغم أنه مشهود له بالإجادة فيه، فقد قال عنه الزركلي في (الأعلام):" له شعر جيّد فيه رقّة وعذوبة"[٤] .

كما أنّ له عدداً من المعرّبات في القصّة والرواية والمسرحيّة.

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، مختارات المنفلوطيّ، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص ١١.

(٢) محمد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، مرجع سابق، ص.165

(٣) مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، مرجع سابق، ص ٢٠٤ - ص.206

(٤) خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، ج٧، ط١٥، دار العلم للملايين، ، ٢٠٠٢م، ص.239

المبحث الأول

معرّبات المنفلوطيّ

جاءت معربات المنفلوطي ضمن حركة انتظمت عصره ظهرت فيها جهود كبيرة في مجال الترجمة مثّلت امتداداً للجهود السّابقة التي بُدئت مع وصول حملة نابليون إلى مصر، وتطوّرت في العهود التي تلته، أسهم فيها كتاب كثيرون مثل: نجيب حدّاد، وحافظ إبراهيم، وأحمد حسن الزيّات، ومحمّد السّباعي، وأحمد حافظ عوض، وإبراهيم المازني وغيرهم(١) .

هذه الحركة ربطت الأدب العربيّ بالآداب الأوربيّة، فأسهمت في تطوير الأدب والنّقد، وبفضلها اطّلع القارئ العربي على مؤلفات أدباء الغرب، كما أسهمت في نشأة مدارس نقديّة ذات أثر كبير في الأدب العربّي مثل: مدرسة الديوان، ومدرسة أبولّو وغيرهما(٢) .

عرّب المنفلوطي عدداً من القصص، جاء بعضها ضمن كتابه العبرات، وواحدة ضمن كتاب النّظرات، كما عرّب أربعًا من الروايات.

أمّا القصّة التي ضَمّنها كتاب النّظرات فهي قصّة (الانتقام) التي تحكي عن (إيلين) الفتاة المسكينة التي توفيت والدتها وافتقر والدها، ثم تزوّج امرأة سيّئة الخلق كانت تسيء معاملتها، ثمّ عمل بمصرف فاتّهمَ- ظلمًا- بالاختلاس فسُجن، وكانت تسعى عند (مسيو لورين) صاحب المصرف، لفك والدها من السّجن، فذهبت إليه في منزله، فراودها عن نفسها، وحاول اغتصابها، فدافعت عن نفسها بمسدس كان في بيته، فاتهمت بالتّعدي عليه بمنزله، فسجنت خمس سنوات، مات خلالها أبوها، وبعد خروجها من السجن قررت الانتقام من (مسيو لورين) الذي ظلمها وأباها، فتقرّبت منه دون أن يعرفها، فباعت له شرفها، وعاشت معه حتى تسببت في إفلاسه، ثمّ سجنه.

بعد الانتقام أحسّت بالذنب فعملت بمستشفى لخدمة المرضى لتكفّر عن ذنبها، فتصادف أن جاء (مسيو لورين) مريضًا فطلبت منه العفو فعفا عنها وعفت عنه، ثمّ مات بين يديها، فآثرت حياة

(١) أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، مرجع سابق، ص ٤١٤ .

(٢) عبد العزيز الدسوقي، جماعة أبولو وأثرها في الشعر الحديث، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٦٠م،ص١٣١ .

الديرة فأصبحت راهبة قضت حياتها هناك[١] .

ساقت القصّة كثيراً من المواعظ حول الانتقام والعفو، حتى تحوّلت في جزء منها إلى شيء أشبه بالخطب منه إلى القص.

أمّا قصصه المعرّبة الأخرى فقد حواها كتاب (العبرات) وهي:

الشّهداء: قصّة أرملة فقدت أخاها الوحيد وعاشت مع ابنها الوحيد، فظلّت تبكي أخاها، وكانت تخفي ذلك عن ابنها، فكبر الابن وأصبح رسامًا، فشارك في مسابقة بواشنطن لأجل أن يغيّر حاله البائس، ويبحث هنالك عن خاله، وقد تحقق له الأمر الأوّل بفوزه بالمسابقة، فشرع في البحث عن خاله فساقه البحث ليقع في الأسر على يد زنوج حبسوه عدة سنين، وأرادوا قتله فأنقذته فتاة بيضاء، ثمّ هربت معه. بيّنت الأحداث أنّ تلك الفتاة بنت خاله المفقود، وأنّ خاله قتله أهل أمها الزنوج بعد أن علموا أنّه تزوج بنتهم.

انتحرت الفتاة بسبب أنّها عاهدت أمّها ألا تهب نفسها لغير العذراء، فمات الفتى حزنًا عليها في اليوم نفسه، ثمّ أشارت خاتمة القصّة لموت الأم بعد معاناتها بفقدان ابنها من بعد أخيها.

بالقصّة حديث عن دور رجال الدين المسيحي في تعقيد الحياة ومخالفة طبيعة الإنسانيّة برهبانيتهم، وهي قصّة بدأت بالمأساة وانتهت بها[٢] .

الذكرى: تروي القصّة مشهد خروج بني الأحمر (آخر ملوك الأندلس) منها، ولحظة حزنهم وانكسارهم، مصوّرة بخطبة رجل عجوز شامت عليهم، ثمّ انتقلت للحديث عن (سعيد) آخر أطفالهم، الذي عاد إلى (غرناطة) بعد أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره، متنكّراً في شكل طبيب أعشاب، ورحلته في البحث عن رؤية آثار قومه، وما كان بينه و(فوريدا) العابدة المسيحيّة التي أحبّها، مما أدى لحقد ابن أمير يعشقها عليه فدسّ له تهمة إغواء فتاة مسيحيّة لترك دينها، فسيق إلى محاكم التفتيش وأعدم.

القصّة ذات أحداث قليلة، وحبكة مبسّطة، غلب عليها الجانب الخطابي الوعظي، لكنّها جاءت

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، مرجع سابق، ص٥٢٩- ٥٤٢.

(٢) مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مرجع سابق، ص ١٩-ص ٣١.

في لغة مؤثّرة تناسب مقام الذكريات والأسى[١] .

الجزاء: تروي قصة (سوزان) الفتاة الريفية التي نشأت مع ابن عمها فأحبته وأحبها، حتى ظهر فتى حضري استهواها فهربت معه وعاشت معه في قصره، فحملت وأنجبت طفلة، فذهب عنها وعاد ليخبرها أنّه تزوج من غيرها، ثمّ طردها وطفلتها من القصر.

بعد فراقها عاش ابن عمها حزينًا حتى أصبح هائمًا ليله ونهاره، يهتف باسمها، وينتظر قبالة النّافذة التي تجلس فيها يرتقبها، إلى أن توفي في ذاك المكان.

بعد طردها من القصر عثرت (سوزان) على ابن عمها ميتًا في المكان الذي كان ينظر إليها منه، فحزنت عليه حزنًا شديداً، حتى تركت بنتها وانتحرت غرقًا، فعثر أبو البنت على بنته في أثناء جولته مع زوجته، ورأى جثّة (سوزان) فتأثّر حتى فقد عقله، فعلمت زوجته بالقصّة فتركته وغادرته إلى أهلها، فظلّ يهيم على وجهه يهتف بالرحمة ويتألم لفعلته، ولم يزل كذلك حتى رأى النّاس جثته في صباح يوم من الأيام طافيةً على النّهر في المكان الذي غرقت فيه (سوزان)، فعلموا أنها النهاية والجزاء[٢] .

الضحيّة: تروي قصة امرأة جميلة فقيرة اسمها (سوزان)، عاشت بباريس، لم يقبل الرجال على زواجها لفقرها فقررت دخول عالم العهر لتنتقم منهم، فعاشت فيه منفّذة ما أرادت حيث قصدت ذل الرجال، واغتنت من تلك المهنة، ثمّ مرضت فتركتها واعتزلت النّاس.

في مرضها ذاك وعزلتها ذهبت من باريس إلى (البانيير) للاستشفاء، فوجدت رجلاً كبيراً تعلّق بها لشبهها ببنته المتوفاة، هو الدوق (موهان)، فعهدها برعايته وأصبح ينفق عليها بعد أن عاهدته ألا تعود لحياتها الماضية.

استمر الحال كذلك حتى ظهر الشاب (أرمان) الذي ينتمي لأسرة شريفة فتعلّق بها، فارتبطت به، وعاشت معه سعيدة بعيشها، ولكن سرعان ما طاردهما الشّقاء فجاء أبوه فأخذه منها لأنّ ارتباطه بها

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مرجع سابق، ص ٤٥-٥٥.

(٢) المرجع السابق، ص: ٦٥-٧٥.

سبب لأسرتهم مشكلات اجتماعية كثيرة، فعادت لحياة العهر مرة أخرى، لكنّها لم تعد في جمالها فكسدت في عالمها ذاك، ثم مرضت وماتت.

تصوّر القصَّة (سوزان) امرأة – على ما بها من سوء– حاملةً قلبًا إنسانيًا طيبًا، يستنكر الشّر الذي تفعله، كما يصوّرها ذات مواقف إنسانيّة نبيلة، فقد كانت تساعد الفتيات الفقيرات في زواجهن، كما أنّها آثرت أن تضحي بصلتها مع (نرمان) لتنقذ أخته من فشل زواجها، وأباه من شقاوة البعد عنه.

حياة (سوزان) رحلة من الشقاء والمعاناة، ختمتها بتضحية، فهي –كما تصوّرها القصّة– ضحيّة، ولذا حملت القصة اسم (الضحية)[١] .

أما معرّباته الأخرى فهي: رواية (بول وفرجيني)، ورواية (تحت ظلال الزيزفون)، ومسرحية (سيرانو دي برجاك)، ومسرحية (في سبيل التّاج).

إنّ الدارس لهذه المعرّبات يلاحظ أن المنفلوطيّ أظهر فيها نَفَسه العربيّ منسابًا في قالب لغويّ أصيل، مطبقًا نهجًا في التعريب أشار إليه في حديثه عن المترجمين الذين تأثّروا باللّغات التي ترجموا عنها وأساهم العاجزين، حيث قال:"... ولا العاجزين الذين غلبتهم إحدى اللغات الأعجميّة على أمرهم فأصبحوا إذا ترجموا ترجموا ترجمة حرفيّة ليس فيها مميّز واحد من مميّزات العربيّة ولا خاصّة من خواصها، وإذا كتبوا كتبوا بأسلوب عربيّ الحرف أعجمي كلّ شيء بعد ذلك"[٢] .

وهذا الأسلوب من التعريب الذي انتهجه ميزه في هذا المجال وخلق من معرّباته مادة ذات خصوصيّة؛ لما حوت من سبك ولغة وأسلوب، فوجدت قبولاً لدى كثير من القراء فقبلوها بالنَفس الذي أراده ، ولذلك نجد عبد الرحمن بدوي –في مذكراته – يقول:" إنّ المنفلوطي لم يكن يترجم – وما كان له أن يفعل ذلك لأنّه لم يكن يعرف لغة أجنبيّة – إنّما كان يشارك المؤلف الأجنبيّ الذي يلخّص له كتابه في التأليف والصياغة"[٣] .

---

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مرجع سابق، ص ٩١– ص١٣٤ .

(٢) مصطفى لطفي المنفلوطي، النظرات، مرجع سابق، ص٤٢٩ .

(٣) عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، ط١، ص٢٧.

وإذا كان البدويّ تناول الأمر من باب الاستحسان حيث أورده ضمن حديثه عن الأثر الإيجابي للمنفلوطيّ في حياته، فإنّ غيره لم يستحسنه وعابه عليه فنجد شوقي ضيف – مثلاً – يستهجنه، ولا يقبله ويعده (تمصيراً)[١] .

لكنّ ما ذكره شوقي ضيف ليس عيبًا مادام المعرّب لم يخرج عن فكرة الرواية، ولم يشوّه حبكتها، وبقي في حدود إضافات تأثيريّة في السرد والحوار تناسب طبيعة الرواية أو القصّة اللتين تمثلان صوراً مموّهة للواقع تمثّل " الأساس الذي يرتكز عليه فن القاص وتنصب عليه جهوده، ولعلّه إن وفق في ذلك، فيستطيع أن ينفخ الروح في بعض شخصيّاته، التي تخلد في الأذهان أكثر مما تخلد بعض شخصيّات التاريخ "[٢] ، ولذا فيلاحظ أنّ فعل المنفلوطيّ كان إيجابيًا اصطحب أدب اللّغة التي ترجم إليها، وثقافة مجتمعاتها، كما أنّه خدم بذلك منهجه الذي خطّه لنفسه في معالجة الموضوعات الاجتماعيّة، وهذا منهج ملحوظ عنه تعرض له شوقي ضيف في كتابته عنه فقال :" فقد اختار الحياة الاجتماعيّة لبيئته واتخذها ينبوعًا لأفكاره، وتحوّل فيها بتأثير أستاذه محمد عبده إلى مصلح اجتماعي، فهو يردد آراء المصلحين من حوله، ويؤديها بلغته التي تأسر السامع وتخلب لبه" [٣]

(١) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٢) محمد يوسف نجم، فن القصة، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م، ص١٠ – ص١١.

(٣) شوقي ضيف، الأدب المعاصر في مصر، مرجع سابق، ص٢٣١.

المبحث الثّاني

الصّراع في المعرّبات الروائيّة

يعرّف الصّراع من المنطلق الاصطلاحي الأدبي بكونه:" التصادم بين الشخصيّات أو النزاعات الذي يؤدي إلى الحدث في المسرحيّة أو القصّة، وقد يكون هذا التصادم داخليًا في نفس إحدى الشخصيّات أو بين إحدى الشخصيّات وقوى خارجيّة كالقدر أو البيئة أو بين شخصيتين تحاول كلّ منهما أن تفرض إرادتها على الأخرى"(١) ، ويُعدّ الصّراع من العناصر المهمّة في بناء الرواية التي تستمد أحداثها من المجتمعات الحقيقيّة؛ ذلكم أنّ مجتمع الرواية يمثّل انعكاسًا متخيلاً للمجتمع الواقعيّ، يحمل ما يعيشه ذلك المجتمع من تفاعلات حياتيّة منها الصّراع، ولذلك نجده ظاهراً في كلّ معربات المنفلوطي؛ فهي لم تكن من روايات التسلية والإمتاع، ولا الغرائبيّة أو العجائبيّة أو غيرها من الفنون الروائيّة، إنمّا جاءت مُصوّرةً جوانب من المجتمع في صور واقعيّة مختلفة، فعالجت صراعات اجتماعيّة، وطبقيّة، وقيميّة، ونفسيّة، لم تخل من ذلك واحدة منها، ولذلك سنعرض كلّ شكل من هذه الصراعات مطبقًا على واحدة منها، على النحو الآتي:

الصّراع الاجتماعيّ، الفضيلة: نموذجاً.

هذه الرواية للكاتب الفرنسي (برناردين دي سان بير) اسمها الأصلي (بول وفرجيني)، حدثت أحداثها في جزيرة (موريس) إحدى الجزر التي تقع في المحيط الهنديّ على مقربة من (مدغشقر)، ترجمها المنفلوطي باسم (الفضيلة) لما أظهرته أحداثها من فضائل تحلّى بها أبطالها.

هذه القصّة تدور حول بطليها (بول) و(فرجيني) وأسرتيهما، فقد جمعت ظروف اجتماعيّة هاتين الأسرتين بتلك الجزيرة، فعاشتا حياة سعيدة رغم ما يحيط بهما من عناء، فنشأ (بول) و(فرجيني) وكأنّهما أَخَوان، ثمّ تطوّرت الصّلة بينهما لتصبح حباً طاهراً جعلهما لا يفترقان، إلى أن استدعت عمّةُ أم فرجيني المرأةُ الثريّةُ البنتَ الصغيرةَ (فرجيني) لتعيش معها، فغادرت الجزيرة، ولم تعد إليها إلّا بعد سنين، لتنتهي رحلة العودة بغرق السّفينة التي كانت تقلّها بساحل الجزيرة، فغرقت (فرجيني) بعد فشل

(١) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص٢٢٤.

كلّ المحاولات لإنقاذها، لاسيما آخر محاولة منعها حياؤها أن تستجيب لها؛ إذ حاول إنقاذها رجل عار.

ثمّ توالت الأحداث ليلحق بها (بول) ثمّ أمّاهما، ثمّ الخادمان اللذان عاشا معهما، ثمّ مات الراوي.

حوت الرواية حوارات عديدة، وسرداً وصفيّاً مليئاً بالتعبيرات المؤثّرة، وجاءت أحداثها في تسلسل زمنيّ واضح، وأخذ المكان فيها مساحة كبيرة[١] .

يبدأ الصّراع الاجتماعي في الرواية من بدايتها حيث كان أوّل أحداثها قدوم فتى من (نورماندي) اسمه (مسيو دي لاتور) إلى جزيرة (موريس) تصحبه زوجته التي أحبها وأحبته، واتفقا على الزواج بيد أن أسرتها رفضته " لأنّهم كانوا من المدلين بأنفسهم وبوفرهم وثرائهم ومكانتهم في الهيئة الاجتماعيّة، فلم يكن مما يهون عليهم أن يصهروا إلى رجل ليس من أكفائهم ولا نظرائهم"[٢] فتزوجا سراً وهاجرا إلى هذه الجزيرة حيث بدأت معاناة هذه الأسرة فعاشت بعيدة عن مجتمعها الأوّل تعاني الفقر والعزلة ما يصوّره الراوي بقوله:" وكذلك شأن المنكوبين يشعرون دائما بحاجتهم إلى الفرار بأنفسهم من ضوضاء العالم و جلبته إلى المعتزلات النائيّة القصيّة، و المواطن الخشنة، الوعرة "[٣] .

فهنا يظهر صراع اجتماعيّ سببه اختلاف الفئات الاجتماعيّة التي تبنى عليها مستويات التقدير الاجتماعيّ بين أعضاء المجتمع الواحد، وهو صراع ينتهي إلى أذى الفئة المستضعفة، لكنّه في هذه الرواية حمل – أيضاً – تضحية من أحد أفراد الفئة الأقوى حيث ضحت مدام (دي لاتور) بأسرتها وفئتها من أجل رجل أحبته وسارت في الطريق إلى أن تزوجته، فكان ثمن ذلك باهظاً ظلت تدفعه إلى موتها، ما يوضّح حدة الصراع الاجتماعيّ والنّتائج المترتبة عليه؛ إذ يبدو أن القيم الاجتماعيّة تتحكم في المجتمعات المحافظة وتسيّر أفرادها بالطريقة التي تريدها فإذا خرجوا عليها نبذتهم.

---

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة أو بول وفرجيني، الدار النموذجيّة للطباعة والنّشر، ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ، ص ١٧ – ص٢٠٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق ، ص٢٥.

أمّا (مرغريت) – الشخصيّة الثانية التي تمثّل أساس أحداث الرواية– فقد كانت ضحيّة لحدث لم يكن للمجتمع يد فيه، لكنّه حاكمها على أحكامه فحملها إلى اختيار سبيل العزلة كرفيقتها مدام (دي لاتور)، فقد خدعها أحد النبلاء فحملت منه ولم يكونا أزواجًا وفر عنها وتركها تواجه المجتمع، " و علمت أنّه قد استحال عليها البقاء بين أهلها و قومها بعدما فقدت تلك الجوهرة الثمينة التي هي كلّ ما تملك العذراء في يدها، و كلّ ما تستطيع أن تقدّمه مهراً لزوجها فأزمعت الرحيل إلي إحدى المستعمرات النائيّة لتواري في قاعها السحيق سوأتها و عارها"[١] ، فهي ضحيّة مجتمع لا يسامح في الأخطاء لأنّ الصراع فيه مبني على الرفع والخفض بناء على الشرف، وخطأ الفرد تدفع ثمنه الأسرة ثمّ الفئة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها.

والصراع الاجتماعي الذي أسست عليه الرواية لم يقف عند حد مدام (دي لاتور) و(مرغريت) فقد امتدت آثاره إلى أبنائهن (بول وفرجيني) اللذين لم يعيشا في مجتمع أمهاتهما الأوّل، فبول الذي كبر وأراد أن يسافر إلى فرنسا للعمل هناك، كان نسبه سببًا في إقعاده، ما حمله على مقاومة ذلك واستنكاره فقال: "... هل يوجد في النّاس من يأخذني بذنب لست صاحبه ولا صاحب الرأي فيه، بل لم أكن حاضره و لا شاهده لأنّه وقع قبل وجودي في هذا العالم ؟"[٢] .

لكنّ هذه المرافعة الإنسانيّة اصطدمت بالواقع الاجتماعيّ الذي يعيش فيه فذكّره الراوي بقوله: "إنّك تحدثني بلسان الحقيقة، أما لسان الاصطلاح فهو من كان مثلك مغمور النّسب أو مقطوعه، فلا سبيل له بأن يلمس بأطراف قدمه أدنى درجة من درجات المجد، بل لا سبيل له أن يأخذ لنفسه مكانًا مطمئنًا بين الطبقات العالية الرفيعة التي يسمونها طبقات الشّرفاء و النّبلاء "[٣]

وعلى الرغم من أنّ (بول) كان يحمل قيمًا غير ملوثّة بأحكام المجتمع الخاطئة نجده– في ذلك الحوار – حاول التمرد على المجتمع ليصل إلى مبتغاه، لكنّ هذا اصطدم بطبيعة الصّراع الاجتماعيّ

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) المرجع السّابق، ص ١٦٠.

(٣) نفسه.

فتحطمت محاولاته على صخرة المجتمع وقواعده فكان ضحيّة ذاك الصراع، ما صوّره قوله:" وا شقاءاه، لقد أخذت عليّ جميع السيل، وسدّت جميع المسالك ويخيّل إليّ أنّني سأقضي بقيّة حياتي في ظلمة داجية لا ينفذ إليها شعاع من أشعة الرحمة ولا يلمع فيها بارق من بوارق الإحسان وقد حيل بيني وبين (فرجيني) إلى الأبد"[١] .

حتى (فرجيني) التي تجاوز لها المجتمع ماضي أمها وألحقها بفئة أسرتها الاجتماعيّة العالية، عاشت الصراع الاجتماعيّ حينما انتقلت إلى بيئة جدتها فلم تستطع الانسجام في مجتمع لم تعرفه لتألفه، فنجدها تعبّر عن ذلك في رسالة لأمها فتقول: "فليتك تحضرين إليّ يا والدتي لتعيشي بجانبي وتحملي عنّي بعض ما أكابده من الوحشة و الكآبة في هذه البلاد؛ فإنّ حياتي على رغدها ورخائها وتوفر أسباب النّعمة فيها، شقيّة جداً، لا أجد فيها أنساً و لا ارتباطاً"[٢] ،وتنظر سلوك القوم في هذه الفئة الاجتماعيّة فلا ترى فيهم فضيلة وتراهم يكذبون ليلهم ونهارهم "كأنّ الكذب هو الأساس الأوّل لحياتهم الاجتماعيّة وكأنّ الصدق عرض من أعراضها الطارئة عليه، و كأنّ لهم نظاماً خاصاً بهم يختلف عن نظام البشر جميعاً في كلّ مكان و زمان"[٣] .

وهكذا يحتدم الصّراع الاجتماعيّ في هذه الرواية فيفرز مجتمعاً جديداً هو مجتمع جزيرة (موريس) المكوّن من مدام (دي لاتور) و(مرغريت) و(بول) و(فرجيني) وخادميهما والرواي، فيعيش المجتمع الجديد حياة جميلة بيد أنّ صراع المجتمع القديم ما ينفك يطارد ضحاياه حتى بعد اعتزالهم مجتمعاتهم الأولى فيسبب لهم الأذى، بل ويمتد أثر الصّراع الاجتماعيّ ليؤثّر في الأبناء الذين عاشوا بعيدين عن المجتمعات التي لفظت أمهاتهن، وكأنّ أحكام المجتمع –خاطئة أم مصيبة – هي التي تتحكم في مصائر الناس.

استخدم الكاتب لمعالجة هذا الجانب طريقة سرديّة وصفيّة، وأخرى حواريّة، الأمر الذي مكّنه

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، الفضيلة، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٢) المرجع السّابق، ١٤٣.

(٣) المرجع السّابق، ص ١٤٤.

من تصوير الصّراع الاجتماعيّ بصورة أوضحت طبيعة مجتمع الرواية والعلاقات الرابطة بين الفئات الاجتماعيّة فيها، وقد ظهر بالمعرّبة علو البعد القيميّ والأخلاقيّ الذي يناسب طبيعة تفكير المنفلوطي، وطبيعة مجتمعه الذي أثر في وجهته الأدبية ذات الارتباط بالقيم والإعلاء منها.

ولعلّ هذا أحد أسباب اختياره لها، ثمّ تغيير اسمها لتكون (الفضيلة)؛ فهذا يختصر فكرة الرواية ويلخص خلاصتها.

الصّراع الطبقي، ماجدولين: نموذجاً

يعد الصّراع الطبقيّ جزءاً من الصراع الاجتماعيّ، إذ أصل التسمية جاء من منطلق تقسيم المجتمع لطبقات، وهذا أمر قديم في المجتمعات الغربيّة، ذلك ما ذهب إليه الكاتب (يانيك لوميل) الذي قال: "إنّ تحليل المجتمعات الغربيّة على ضو الطبقات الاجتماعيّة قديم جداً، ويظهر أنّه في التاريخ الغربيّ كان دائمًا أحد الطرق لتصوّر تنظيم المجتمعات التي تستند إلى عدد محدود من الجماعات المتمايزة"(١) .

هذه القصّة اسمها في الأصل (تحت ظلال الزيزفون) ألفها الكاتب الفرنسي (ألفونس كار)، عرّبها المنفلوطي باسم (ماجدولين)، تروي علاقة حبّ بين (ماجدولين) و(إستيفن) بدأت بتعلقهما الشديد ببعضهما، وإصرارهما على الزواج رغم اعتراض والد (ماجدولين) على (إستيفن) ورغبة أسرة (إستيفن) في زواجه من فتاة من أسرة ثريّة، لكنّ تلك الحال لم تستمر حيث ظهرت سوزان المرأة الثريّة صديقة ماجدولين؛ فغيّرت قلب سوزان وميّلته لإدوار صديق (إستيفن) وزوجتها منه، الأمر الذي أدخل (إستيفن) في حالة نفسيّة كادت تحطمه لولا أن تداركه صديقه (فرنز) فأرجعه إلى صوابه ودفعه لترك هوى (ماجدولين).

أمّا (ماجدولين) فقد عاشت حياتها مع زوجها سعيدة في مرحلة الثّراء، ولكنّه افتقر وزهد فيها، ثمّ كثرت ديونه فهرب منها وتركها تعاني ألم العوز وألم الحمل، فوضعت بعده بنتًا، ثمّ ما لبثت أن

(١) يانيك لوميل، الطبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م، ص١٣.

حملت الأخبار إليها خبر انتحاره، فابتأست واعتزلت النّاس، فسمع بها (إستيفن) وحضر إليها ليقف معها في محنتها، وكاد يغفر لها غدرها به لكنّه تذكّر جراحه فرفض العودة إليها ووبخها وانصرف، فتألمت لذلك حتى انتحرت غرقًا، وقد حاول (إستيفن)إنقاذها فعجز، فعاش بعدها مكتئبًا منعزلاً عن النّاس حتى وافاه أجله في ليلة اجتمع فيها أصدقاؤه معه ببيته ليسلوه ويخرجوه من عزلته، فأوصى بثروته لبنت ماجدولين وصديقه (فرنز).

القصّة فيها لغة حبّ رومانسيّ ظهرت في خطابات (إستيفن) و (ماجدولين)، وفيها ما يوضّح كيف تكون علاقة الأصدقاء في جمالها وقتما تصف صلة (إستيفن) مع (إدوار)في البداية، وتكون في انحطاطها في نهاية القصّة، وتمثّل نموذجًا للصراع الطبقي حيث ظهر في حياة (إستيفن) فعانى منه كثيراً[١] .

وبالنظر لمجتمع رواية (ماجدولين) المستمد من المجتمع الفرنسي ، يظهر صراع الطبقات الذي يصوّر لنا سمة أساسيّة من سمات ذاك المجتمع ، إذ إنّه " في فرنسا في إمكاننا أن نحكم على طبيعة واتساع الفروق في تصرفات وظروف الطبقات الاجتماعيّة ، بصورة أساسيّة من خلال منظار الفئات الاجتماعيّة المهنيّة"[٢] .

تجلّى الصراع الطبقيّ في ما عاناه بطل القصّة (إستيفن) الذي كان ضحيّة هذا الصّراع في أكثر من حدث، فأسرته تريد اتصاله في زواجه بطبقة الأثرياء حيث اختارت له بنتًا من تلك الطّبقة، بينما كان لا يريد هذا الخيار، ورغب في الزواج من (ماجدولين) التي تناسب طبقته، فترك أسرته ليعمل ما يحقق حلمه مع (ماجدولين)، لكنّ (ماجدولين) لم تستطع الصمود أمام ضغط طبقة الأغنياء الذي أغراها بالالتحاق بها، فتركت (إستيفن) وتزوجت الثري ابن طبقة الأثرياء الذي انهار مستواه المالي فانهارت معه حياته مع (ماجدولين) ، فرجعت تبحث عن (إستيفن) بعد أن فقدت كلّ شيء مع زوجها، لكنّه لم يقبلها فانتحرت، ثمّ لحقها فانتحر معها.

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، ماجدولين، دار الشروق العربي، بيروت، ص٥-٢٧٦.

(٢) يانيك لوميل ، الطبقات الاجتماعية، مرجع سابق، ص١٢١.

والملاحظ أنّ أحكام طبقات المجتمع التي صوّرته الرواية أحكام مسيطرة على شخصيّاتها متحكّمة فيهم، صعب على أبطال الرواية الفكاك منها، وقد أضفى هذا الصراع على الرواية روحًا مأساويًا قضت بنهايات مأساويّة لبطلي الرواية (ماجدولين) و(إستيفن)، وللشخصيّات المكمّلة لأحداثها، وقد أفرز مواقف إنسانيّة أوضحت مشاعر ضحايا هذا الصّراع واستعدادهم للوقوف مع غيرهم من ضحاياه، عبرت عنها مواقف (إستيفن) مع (إدوارد)، وتعاطفه مع (ماجدولين)، ووصيته بميراثه لبنت (ماجدولين) وصديقه (فرنز).

وفي الرواية يتضح أن الصرّاع الطبقي يبنى في أساسه على المقوّم المالي الذي يقوم بدوره بتقسيم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الأغنياء، وطبقة الفقراء، ثمّ يبني أحكامه على النّاس وفق هذا التقسيم، فيعاني الإنسان في طبقة الفقراء من النظرة الاستعلائية التي يواجههم بها مجتمع الطبقة الأخرى فينعكس ذلك عليه، ويؤثر فيه، فيتحول إلى صراع نفسي ينتهي إلى نهايات مأساوية انتهت إليها الشخصيات الرئيسة بالرواية.

صراع القيم، في سبيل التاج: نموذجاً.

يقصد بالقيم الأحكام المكتسبة من الظروف الاجتماعيّة التي يُحكم بها الفرد وتحدد سلوكه وتؤثّر فيه مثل الصدق والأمانة والشّجاعة والولاء وتحمل المسؤوليّة، وهي تختلف باختلاف المجتمعات والجماعات [١] ، ومن هذا المفهوم نجد أنّ رواية (في سبيل التاج) تمثّل هذا الصّراع، فهذه المعرّبة التي في أصلها مسرحيّة شعريّة للشّاعر الفرنسيّ (فرنسوا كوبيه)، تحكي صورة من صور التضحية من أجل الوطن، ثمّ من أجل الأسرة.

تدور أحداث الرواية حول التنافس من أجل الحكم بين القائد (برانكومير) أحد قادة البلقان والأسقف (أتين)، بعد موت ملك البلقان (ميلوش)، انتهى بأن صار الأسقف ملكًا على البلقان، الأمر الذي ولّد حقداً في نفس القائد، فاستغلته زوجته الفتاة اليونانيّة الجميلة (بازيليد) حتى دفعت القائد

(١) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م، ص٤٣٨.

لقبول خيانة وطنه لصالح أعدائه الأتراك.

لكنّ أمر الخيانة لم يكتمل بسبب اكتشاف ابنه الوطنيّ المخلص (قسطنطين) الأمر وتأكّده منه، ثمّ متابعة أبيه ليلة الخيانة، والسعي للحيلولة دون ذلك، وحينما عجز عن منع أبيه من فعل الخيانة اضطر لقتله دون أن يعلم بذلك أحد، فعُدّ والده بطلاً استشهد دفاعًا عن وطنه، وأقيمت له مراسم تشييع الأبطال، وآل أمر القيادة إلى (قسطنطين)، لكنّ زوجة أبيه وأعداءه كادوا له حتى أوقعوا بينه والملك بإلصاق وثيقة الخيانة التي وقعها أبوه مع الأتراك عليه، فلم يكشف قسطنطين السّر حتى قتل، فكان ضحيّة إخلاصه لوطنه وإخلاصه لأسرته.

بالقصّة تظهر (ميتزا) الخادمة النّوريّة التي خلّصها (قسطنطين) من الموت وجعلها في خدمته فكانت تحبّه وتخلص له، فهي التي كشفت له مؤامرة زوجة والده مع الجاسوس التركي (بانكو) المتستر في هيئة موسيقي، وقد كان لهذه الخادمة دور في نهاية القصّة إذ خلصت (قسطنطين) من الذلّ والتعذيب بقتله ثمّ الانتحار بعده.(١)

ويظهر صراع القيم في أكثر من حدث من أحداثها، فبطلها (قسطنطين) يمثّل الشّخصيّة المتمسكّة بالقيم التي تصطدم بما يخالف ما تؤمن به فتنتصر لقيمها، يظهر ذلك في أكثر من مرة، فنجده حينما وجد الأسيرة النوريّة عاش صراع القيم؛ فموقعه الاجتماعيّ يفرض عليه تصرفًا معينًا مبنيًا على التعالي على هذه النّوريّة وعدم الاهتمام بها لكن قيمة العطف على المساكين حملته على الاهتمام بها وإنقاذ حياتها، وهذا أمر انتصرت فيه العاطفة التي تمثل الخير على ما يتوقعه مجتمع الرواية في مثل هذا الموقف، وقد استفاد الكاتب من الحدث في إحكام حبكة الرواية، إذ طوّر هذا الحدث فجعل منه مفتاحًا للوصول لأحداث مهمة، مثل كشف الجاسوس التركي، وقتل البطل (قسطنطين) بتلك الطريقة التي خلصته من العذاب، وأسدلت الستار على حياته، فذهب بأسراره.

وواضح أن شخصيّة (قسطنطين) شخصيّة قيميّة بالمقام الأوّل، فقد دفعته قيمه المتمثّلة في حبّ الوطن إلى أن يقف أمام أبيه ويتصدّى لخيانته لوطنه بقوة ابتدأت بتحريك الوازع الوطنيّ فيه وانتهت

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، في سبيل التاج، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٣م، ص٧-٨٢.

بقتله، فانتصر لقيمة الوطنيّة، كما أنّه انتصر لقيمة الانتماء الأسريّ، فأخفى الصورة السيّئة لأبيه ليبقى بطلاً وطنيًا، ورضي أن يدفع ثمن ذلك حياته فقتل بسببه.

في هذه المعرّبة انتصر الشّر على الخير ظاهراً؛ فقد انتهت بموت (قسطنطين) بطلها صاحب قيم الخير، لكنّ الحقيقة أنّ قيم الخير انتصرت بتمسك صاحبها بها في كلّ مراحل الصّراع حتى النهاية بموته الذي يمثل قيمة التضحية والاستشهاد من أجل القيم، وهذا من أوجه الانتصار التي يحتفي بها المؤمنون بالقيم؛ إذ يتطلعون لنصر معنوي أكثر من النصر المادي، ما مثّله (قسطنطين) الذي كان من الممكن أن يفشي ما مات به من أسرار ليبرئ نفسه.

الصّراع النّفسيّ، الشّاعر: نموذجاً

هذه المعرّبة مسرحيّة من تأليف الشّاعر الفرنسيّ (إدموند روستان) اسمها (سيرانو دي برجاك)، عرّبها المنفلوطيّ و أسماها (الشّاعر)، تدور أحداثها حول الشّاعر الجنديّ (سيرانو دي برجاك) الذي أحبّ بنت عمّه (روكسان) ولكنّه لم يجرؤ على إخبارها بذلك لاعتقاده أنّه قبيح المنظر بسبب أنفه الطويل، وقد أحبت بنت عمّه نبيلاً اسمه (كرستيان دي نوفييت) وفد للعمل في فرقة الجيش التي يعمل فيها (سيرانو)، لم تكن له الصّفات التي تحبّها (روكسان)، ومنها القدرة على التعبير عن الحبّ بلغة رومانسيّة، الأمر الذي اتسم به (سيرانو)، وقد آثر (سيرانو) أن يساعد (كرستيان) حتى يسعد بنت عمّه، مقدمًا سعادتها على سعادته، فظلّ يكتب له الرسائل التي يرسلها إليها.

استمر هذا الحال – مع أحداث كثيرة بالرواية – لينتهي برفض (كرستيان) الاستمرار في علاقته مع (روكسان) لأنّه علم أنّها لم تكن تحبّ إلّا الأسلوب الذي يظهر في الرسائل التي يكتبها (سيرانو)، ثمّ مات (كرستيان) قبل أن تعلم (روكسان) بالحقيقة، فظلّت على حبّها له، ثمّ اعتزلت النّاس والتحقت بدير، وظلّ (سيرانو) على حبّه لها دون أن يخبرها، وعاش حياة بائسة إلى أن بلغ الكبر، ثمّ اكتشفت حقيقة الأمر قبل موته بقليل، وماتت (روكسان) بعد ذلك.[١] .

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، الشّاعر، ط١، دار اليقين للنّشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص٧-ص٢٠٦.

إنّ النّاظر لرواية الشّاعر أو (سيرانو دي برجاك) ،يجد عقدتها تبتدئ من عقدة نفسيّة عاشها الشّاعر الذي كان يعاني من كبر أنفه ولذلك ظهر وصفها منذ بداية الرواية على لسان (راجو) الذي عرّفه فقال:"... وله أنفٌ هائل جداً، لا يراه الرائي حتى يَذْعر ويرتاع ويقف أمامه مدهوشاً منذهلاً، يعجب لصاحبه كيف استطاع أن يحمله في رقعة وجهه وكيف لا يلتمس السبيل إلى الخلاص منه، أمّا هو فراضٍ عنه كلّ الرضا، لا يشعر بثقله، ولا يفكر في الخلاص منه بحال من الأحوال، والويل كلّ الويل لمن يرفع نظره إليه، أو من تختلج شفتاه بابتسامة، أو العجب منه، أو السخرية به، فإنّ رأسه يطير بضربة واحدة من حد سيفه"[1] ، وظلت هذه العقدة النفسيّة ملازمة الرواية تتمحور حولها معظم أحداثها، فهي التي حالت دون إعلانه حبه لبنت عمه روكسان، إذ يعتقد أنّها لا تقبل به لهذا السبب، ثم جعله الأمر متنازلاً عن الطمع في زواجها مكتفيًا بدور المعبّر عن مشاعره عبر عاشقها الذي ارتضته لأشياء منها جمال هيئته.

إنّ هذا الصّراع مناسب لشخصيّة الشّاعر التي ظهرت في ثوب عاطفة دفّاقة وحساسية مفرطة، وقد ربط هذا الصّراع بكثير من أحداث القصّة، حتى صار أحد أهم روابط حبكتها، وقد ألقى بظلاله في تعبير الشّاعر عن مأساته فنجده يقول: "نعم أعترف لك يا سيدي بأنّني رجل فقريٌ مفلوك، لا أملك من متاع الدنيا شيئًا، وأنّني لا أحمل على صدري أي هنة من تلك الهنات التي تسمونها شارات الشّرف، ولكن ائذن لي أن أقول لك كلمة واحدة، ثمّ أنت وشأنك بعد ذلك: إنّني لا أحفل يا سيدي بالصور والرسوم والأزياء والألوان، ولا يعنيني جمال الصورة وحسنها، ولا برقشة الثياب ونمنمتها، وحسبي من الجمال أنني رجل شريف مستقيم، لا أكذب ولا أتلون، ولا أداهن ولا أتملق، وأنّ نفسي نقيّة بيضاء غير ملوثة بأدران الرذائل والمفاسد، فلئن فاتني الوجه الجميل والثوب المفوّف والوسام اللامع، والجوهر الساطع، لم يفتني شرف المبدأ، ولا عزة النّفس، ولا إباء الضيم، ولا نقاء الضمير"[2].

(١) مصطفى لطفي المنفلوطي، الشّاعر، مرجع سابق ، ص٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.

والملاحظ أنّ أحداث الرواية دارت مستقلة عن هذا الصّراع لكنّه كان مؤثراً فيها بصورة واضحة؛ فهو المسيطر على شخصية البطل، وهو الذي تحكم في الأحداث الرئيسة وغَيّرها لغير المتوقّع، كما أنّه مثّل عنصر شد للمتلقي عقّد كثيراً من الأحدث التي تبدو سهلة النهايات، وصنع منها ما يصلح للمشاهد المسرحية أكثر من السرد.

الخاتمـــة

وبعد، فالصّـــراع في معرّبات المنفلوطي الروائية ، من الموضـــوعات التي تعالج قضـــية نثرية مهمة من موضـــوعات نقد الرواية، يحتاج الوصـــول إليه إلى الوقوف على موضـــوعات أخرى تمثّل أطراً مقوية لبنائه، ومعينة على اســـتيعابه وتحليله، مثل بيئة المعرّب وعصـــره، وجهوده في التعريب، ومجتمع المعرّبات، ولذلك سـلك البحث هذه السـبل لسـبر غور الموضـوع فنظر في حياة المنفلوطي والبيئات التي صنعت منه أديبا، وأثره في حركة النّثر الفني في العصر الحديث، فوضّح جهده في التعريب ومنهجه فيه، ثمّ وقف البحث على معرّباته، لا سيما معرّباته الروائية، فاستنتج الآتي:

- أفاد المنفلوطيّ الأدب العربّي في مجال التعريب؛ حيث رفده بقصص وروايات ومسرحيات أجنبيّة.

- تميزت معرّبات المنفلوطيّ بأسـلوب خاص في التعريب، التزم فيها بمنهج اختطه لنفسـه، حرص فيه ألّا يقلّد السابقين.

-حوت معرّبات المنفلوطي الروائيّة على أشـكال الصّـراع كافة: الاجتماعيّ، والطبقيّ، والقيميّ، والنفسيّ.

- ظهر الصّـراع الاجتماعيّ في رواية الفضـيلة، فبين كيف تتحكم الفوارق الاجتماعيّة، والأخطاء السلوكيّة في حياة النّاس.

- صورت (ماجدولين) الصّراع الطّبقي، فتبيّن أنّ أحكام طبقات المجتمع التي صوّرته الرواية أحكام مسيطرة على شخصيّاتها متحكّمة فيهم.

- ظهر صراع القيم في (في سبيل التاج)، في أكثر من حدث من أحداثها.

- تجلّى الصـراع النفسـي في رواية (الشـاعر)، وقد ربط بكثير من أحداث القصّـة، حتى صـار أحد أهم روابط حبكتها في أكثر من حدث من أحداثها.

إنّ الباحث في أدب المنفلوطي، ومعرّباته يجد أنّ ثمة دراسات مهمة في هذا المجال تستحق أن تجرى؛ ولذا أوصـى الباحث بمزيد من الدراسـات في الآثار الأدبيّة للمنفلوطيّ، وحركة التعريب السّـردي في العصر الحديث.

فهرست المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

١ – مصطفى لطفي المنفلوطيّ، الفضيلة أو بول وفرجيني، الدّار النّموذجيّة للطّباعة والنّشر.

٢ – مصطفى لطفي المنفلوطيّ، ماجدولين، دار الشّروق العربيّ، بيروت.

٣– مصطفى لطفي المنفلوطيّ، في سبيل التّاج، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، ٢٠١٣م.

٤ – مصطفى لطفي المنفلوطيّ، الشّاعر، ط١، دار اليقين للنّشر والتّوزيع، المنصورة، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

ثانياً: المراجع:

١ – أبا عوض أحمد والفارابي عبد اللطيف، الحركات الفكريّة والأدبيّة في العالم العربيّ الحديث، دار الثّقافة والنّشر، الدّار البيضاء، ١٩٩٠م.

٢–أحمد هيكل، تطوّر الأدب الحديث في مصر، ط ٦، دار المعارف، مصر، ١٩٩٤.

٣–أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعيّة (إنجليزي، فرنسي، عربي)، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

٤–أحمد حسن الزيّات، وحي الرّسالة (فصول في الأدب والنّقد والسّياسة والاجتماع)، مج١، ط٧، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٢م.

٥– السيّد مرسي أبو ذكرى، المقال وتطوّره في الأدب المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م

٦– يانيك لوميل، الطّبقات الاجتماعية، ترجمة جورجيت الحداد، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٨م.

٧– مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

٨– محمّد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النّهضة الأدبيّة الحديثة، ج٢، المطبعة المنيريّة بالأزهر، القاهرة.

٩- محمّد يوسف نجم، فن القصّة، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

١٠ - مصطفى صادق الرّافعي، على السّفود، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة، ٢٠١٢م

١١- مصطفى لطفي المنفلوطي، العبرات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،٢٠١٣م.

١٢- مصطفى لطفي المنفلوطيّ، النّظرات، مؤسسة هنداويّ، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.

١٣- مصطفى لطفي المنفلوطيّ، مختارات المنفلوطيّ، ط١، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٤- عبّاس محمود العقّاد، دراسات في المذاهب الأدبيّة والنقديّة، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتوزيع.

١٥- عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج١، ط٧، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤م.

١٦- عبّاس محمود العقّاد وإبراهيم المازني، الديوان، مؤسسة هنداوي، المملكة المتّحدة.

١٧- عبّاس محمود العقّاد، مراجعات في الأدب والفنون، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، ٢٠١٣م.

١٨- عبد العزيز الدسوقي، جماعة أبولّو وأثرها في الشّعر الحديث، معهد الدّراسات العربيّة العالميّة، ١٩٦٠م.

١٩- عبد الرحمن بدوي، سيرة حياتي، ج١، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٠- شوقي ضيف، الأدب العربيّ المعاصر في مصر، ط١٣، دار المعارف، القاهرة.

٢١- خير الدين بن محمود الزّركلي، الأعلام، ج٧، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخـــص ١٨١٥
المقدمـــة ١٨١٧
تمهيد: المنفلوطي، حياته وآثاره. ١٨١٩
المبحث الأول: معرّبات المنفلوطيّ ١٨٢٤
المبحث الثّاني: الصّـــراع في المعرّبات الروائيّة. ١٨٢٩
الصّراع الاجتماعيّ، الفضيلة: نموذجًا. ١٨٢٩
الصّراع الطبقي، ماجدولين: نموذجـًا ١٨٣٣
صراع القيـم، في سبيل التاج: نموذجـًا. ١٨٣٥
الصّراع النّفسيّ، الشّاعـر: نموذجـــًا ١٨٣٧
الخاتمـــة ١٨٤٠
فهرست المصادر والمراجع ١٨٤١
فهرس موضوعات البحث ١٨٤٣